تكملة باب الشفاعة

قال رحمه الله:

فيه مسائل:

المتن:

الأولى: تفسير الآيات.

الشرح:

نعم. الشيخ يذكر المسائل المستفادة في هذا الباب العظيم .

المتن:

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الشرح:

نعم، كأنّه يقول إنّ من الشفاعة شفاعة منفية ، و صفة الشفاعة المنفية قد بيّنتها الأدلّة، و ذكرنا لكم أيُّها -الإخوة -صفة الشفاعة المنفية و قلنا أنّها ضُبطت عند أهل العلم بأربع صور:

1) الصورة الأول:

الشفاعة لأهل الشرك و الكفر، فإنّ هذه الشفاعة مُنتفيَةٌ قطعًا.

2) الصورة الثانية:

هي الشفاعة من دون إذن الله عزّ و جل، و هذه لا تكون أبدا.

3) الصورة الثالثة:

الشفاعة من غير أن يرضى الله عن الشافع و المشفوع له، و هذه لا تكون أبدًا.

4) الصورة الرابعة:

شفاعة المعبودين من دون الله لعبادهم يوم القيامة، وهذه لا تكون أبدًا.

المتن:

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الشرح:

نعم كأنّه يقول إنّ من الشفاعة شفاعة مثبتة يوم القيامة لا شكّ فيها هي من اليقين و الإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر ، فإن الايمان بما جاء في الكتاب و السنة ممّا يقع في اليوم الآخر من الإيمان باليوم الآخر،

و الشفاعة المثبتة هي الشفاعة التي يتفضّل الله بها لمن يأذن لهم من الشفعاء و يرضى عنه من المشفوع لهم.

المتن:

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وَهِيَ: المَقَامُ المَحمُودُ[1].

الشرح:

ذكر الشفاعة الكبرى الخاصّة بالنبي صلى الله عليه وسلم و هي المقام المحمود، و ذكرنا لكم أن المقام المحمود في شفاعتين :

1 – الشفاعة العظمى لأهل الموقف.

2 – و الشفاعة لأهل الايمان بدخول الجنة.

فهاتان الشفاعتان هما المقام المحمود الذي أُعْطِيَه النبي صلى الله عليه و سلم.

المتن:

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ: وَأَنَّهُ لا يبدأ بالشفاعة [أَوَّلًا][2]، بل يسجد، فإذا أَذِنَ الله له[3] شَفَعَ.

الشرح:

و المقصود أيّها– الإخوة– أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله أعطاه الشفاعة و أعلمه بذلك و أعلمنا الرسول صلى الله عليه و سلم بذلك،و بيَّن لنا كيف تكون يوم القيامة، مع ذلك لا يَملِكُ هذه الشفاعة إلاّ بعد أن يأذن الله عزّ وجل له يوم القيامة، و لذلك يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيخرُّ ساجدا و يحمد الله بمحامد عظيمة و يبقى

ساجدا سجودا طويلا حتى يُؤذن له و يُقال له": ارفع رأسك و قل يُسمع و سَل تُعطَ و اشفع تُشفَّع" .

و قلنا -يا إخوة -أن هذا يقع في شفاعتين من الشفاعات الخاصّة بالنبي صلى الله عليه وسلم اللتان هما:

-المقام المحمود الشفاعة العظمى.

-و شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في المؤمنين في دخول الجنة.

-و يقع أيضا في موطن ثالث من الشفاعات وهو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أقوام من أمته قد أُدخلوا النار أن يخرجوا منها و هذا كما تقدّم معنا من الشفاعة المشتركة التي ليست خاصّة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

المتن:

السادسة: مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِهَا؟!.

الشرح:

نعم أسعد الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل التوحيد الذين قالوا لا إله إلا الله خالصا ذلك من قلوبهم ، و لا بُدّ -يا إخوة- من قول أشهد أنّ محمدا رسول الله مع شهادة أن لا اله إلا الله،

شهادة أن لا إله إلا الله مُقتضية لشهادة أنّ محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن أتى بالشهادتين خالصا من قلبه و لم يأت بما يَنقُضُهما و مات على التوحيد فهو مستحقٌ لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

المتن:

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الشرح:

نعم هي لا تنال إلاّ من مات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يُشرك بالله شيئا.

المتن:

الثامنة: بيان حقيقتها.

الشرح:

نعم و أنّها تَفضُّلٌ من الله ليست حقًّا لأحد ، و إنّما هي فضلُ الله ، مَحضُ فضل من الله عز وجل، مَحضُ فضل على الشافع، فإنّ الشافع لا يستحقُّ الشفاعة إلاّ بفضل الله سبحانه و تعالى من أجل أن يظهر الله إكرامه ، و لذلك أعظم من ينال الشفاعة يوم القيامة النبي صلى الله عليه و سلم ، و له شفاعات خاصّة لأنّه أكرم خلق الله صلى الله عليه و سلم، و يتفضّل الله بها على المشفوع له لينفعه، فهي مَحضُ فَضل ربِّنا سبحانه و تعالى.

(١٨) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾[٤].

نعم هذا الباب يتساءل المُتسائل عندما يقرأه ما علاقته بكتاب التوحيد .

لماذا ذكره الشيخ في كتاب التوحيد؟ و لماذا ذكره هنا بعد باب الشفاعة؟ أو بعبارة أخرى ما علاقة هذه الآية بالتوحيد؟

و الجواب:- يا إخوة- أنّ ذلك لأربعة أوجه :

الوجه الأول :

أنّه لما ذكر الشيخ الشفاعة و بيّن أنّها لا تنفع المشركين أعقب ذلك الباب بهذا الباب ليدلّ على أن الاستغفار لا يكون للمشركين و لا ينفع المشركين و إنّما ينفع المؤمنين.

فوجه العلاقة بين الشفاعة و هذا الباب أنه تبيّن لنا في الباب السابق أنّ الشفاعة لا تكون للمشركين و لا تنفع المشركين و إنّما تنفع المؤمنين.

فأعقب الشيخ ذلك الباب بهذا الباب ليُبيّن أنّ الاستغفار كذلك لا يكون للمشركين و لا ينفع المشركين و إنّما ينفع المؤمنين.

الوجه الثاني :

أنّه لما تبيّن في الباب السابق أنّه لا يستطيع أحدٌ أن يُنقذ أحدًا من النار يوم القيامة إلاّ بإذن الله، تبيّن لنا هذا في باب الشفاعة.

ذكر الشيخ هذا الباب الذي فيه أنّه لا يستطيع أحدٌ أن يُنقذ أحدًا في الدنيا من سبب دخول النار الاّ باذن الله، فتبيّن أنّه الأمر كلّه لله :

كلّه لله { -الأمر في الآخرة. -و الأمر في الدنيا.

تبيّن لنا -يا إخوة- في باب الشفاعة أنّه لا يملك أحدٌ مهما علا شرفه أن يُنقذَ أحدًا من النار إلا بإذن الله سبحانه و تعالى.

عقد الشيخ هذا الباب ليُبيّن لنا أنّه أيضا في الدنيا لا يملك أحدٌ أن يُنقذَ أحدًا من سبب دخول النار و هو الشرك و الضلال و المعاصي إلاّ بإذن الله سبحانه و تعالى.

فيتبيّن للمؤمن أنّ الأمر كلّه لله فتنقطع العلائق بكلّ مخلوق و يُعلّقُ المؤمن قلبه بالله سبحانه و تعالى الذي له الأمر كلّه.

الوجه الثالث :

بيان أنّ هداية التوفيق لا تكون إلاّ من الله سبحانه و تعالى، فالتوحيد اعتقاد ذلك و طلبها من الله سبحانه و تعالى :﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فمن أعتقد أنّ أحدًا غير الله يملك هداية التوفيق فقد أشرك بالله **الشرك الأكبر**، و من طلب هداية التوفيق من غير الله عزّ وجل فقد أشرك **شركا أكبر**، و قد أنكر الله عزّ و جل على المشركين أنّهم يعبدون معبوداتهم و هي لا تهدي إلى الحق :﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى﴾ ، فبيّن الله عزّ وحل أنّ الذي يهدي إلى الحق هداية التوفيق و الاذْعَان

إنّما هو الله، و أنّ الذي يستحق أن يُعبد هو الذي يهدي هداية التوفيق، و أنّ كلّ مخلوق لا يستطيع أن يهديَ أحدًا إلاّ أن يُهدَى فيهدي غيره هداية البيان كما سيأتي في بيان أنواع الهداية.

إذن- يا إخوة- الوجه الثالث بيان أنّ هداية التوفيق إنّما هي من الله عز وجل ، فالتوحيد يا مسلم أن تعتقد أن هداية التوفيق إنّما هي لله عزّ وجل لا شريك له، و أن تطلبها من الله.

و من اعتقد أنّ أحدًا من خلق الله يملك هداية التوحيد فقد **أشرك شركا أكبر** مخرج من الملة ، و من طلب هداية التوفيق و الإذعان من غير الله عزّ وجل فقد أشرك **شركا أكبر** يُخرج من الملة.

الوجه الرابع :

أن هذا الباب تضمّن أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مع علوّ مكانته مع كونه سيّد ولد آدم ، مع كونه سيّد الأنبياء و المرسلين، مع كونه أفضل خلق الله لا يستحقُّ أن يُصرف له شيء من العبادة، لأنّه لا يملك هداية التوفيق لمن أحبّهم و لو كانوا من أقربائه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك النفع و لا الضُرّ لأحد إلاّ بإذن الله، و إذا كان هذا في حقّ النبي صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى في حقّ من كان دونه من مخلوقات الله سبحانه و تعالى، فلا يوجد مخلوق في الدنيا و لا وُجِد و لن يُوجد يستحقُّ أن ندعُوَه من دون الله أو أن ننذُر أو نستعيذ به أو نستغيثُ به إستغاثة العبادة

كما تقدّم معنا أو نصرِف له شيئا من أنواع العبادة مهما كان صغيرا، فهذه الأوجه الأربعة لمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد و لمناسبة أن يكون بعد باب الشفاعة.

و بهذا يا إخوة تعرفون فقه علمائنا رحمهم الله عزّ وجل كيف انّهم يفهمون التوحيد فهما دقيقا، فإن الناظر من أمثالنا لو قرأ هذه الآية ابتداءً قد لا يظهر له هذه المناسبات العظيمة للتوحيد.

و هذا يدلك يا طالب العلم أنّك بحاجة إلى العلماء، لا يوجد طالب علم يستغني عن العلماء يقول انا الحمد لله أنا تجاوزت القنطرة ، الآن آخذ من المعين من الكتاب و السنة، أنت بحاجة إلى أهل العلم لتفهم ما في الكتاب و السنة.

و المعلوم أيُّها- الإخوة- أنّه لا يأخذ من الكتاب و السنة إلاّ المجتهد فيما لم يمضي القول فيه من الأحكام، لا يستنبط من الكتاب و السنة الأحكام إلا المجتهد فيما لم يمض القول فيه من الأحكام .

أمّا ما بُحث و انتهى و فرغ منه العلماء فلا يجوز إحداث قول جديد فيه، لكن النازلة الجديدة إنّما يستنبطها المجتهدون، و لذلك من خطأ بعض طلاب العلم الذين لم يصلوا إلى درجة الإجتهاد ولو الجزئي، لأنّ الإجتهاد نوعان :

1 - مطلق في الشريعة كلّها .

2 - و جزئي و لو في مسألة .

بعض طلاب العلم لم يصل إلى درجة الإجتهاد و لو الجزئي، مع ذلك إذا نزلت نازلة في بلده، لو وقعت في زمن الصحابة لأجتمع لها كبار الصحابة ، يُبادر بالفتوى فيها.

و لذلك ممّا يُحزن قلبي جدًّا أنّي أجد بعض طلاب العلم الذين لم يصلوا إلى درجة الإجتهاد يقينا يُفتون المسلمين في بلدانهم في الدماء في أمور عظيمة، يُفتون المسلمين في أمور يعني ينبغي أن يجتهد لها أن يجتمع لها المجتهدون، و هذا لا يجوز، مهما تكالب الناس عليك،مهما أصبح الناس يتّصلون بك و يسألونك لما عندك من علم، لا يجوز لك أن تعلُوَ قدرك، لا يجوز لك أن ترتفع فوق قدرك، المسائل الكبيرة العظيمة التي تُؤثّر في الأمة تأثيرا عظيما إنّما يُرجع فيها إلى العلماء الكبار، و الواجب أن يُرجع طالب العلم فيها الناس إلى العلماء الكبار و أن لا يتكبّر و يقول لماذا لا أشارك أنا؟ يا أخي أفهم ، أنا- يا أخي- أعرف أنا أُدلي بدَلوي، لا -يا أخي- هذا دين الله ، هذا مبني على الهُدى على ما دلّ عليه الكتاب و السنة، و المرجعُ في هذا في بيان هذه النوازل إلى العلماء الكبار، إلى أهل الإجتهاد الذين تأهّلوا في هذه المسائل، و أنا أحسب أنّ كثيرا من الشر العام الذي يقع بين المسلمين اليوم سببه تقدم الصغار على الكبار، و لذلك نجد شبابا صغارا في سنهم، صغارا في عقولهم يقدِّمون ويُؤخِّرون في الشؤون العامة للأمة و يكتبون التغريدات و البيانات يُسوِّدون صحف الفيس بوك و غيرها ببيانات يتزعَّمون فيها و هم لا زالوا صغارا في سنهم، صغارا في عقولهم، صغارا في علمهم ، هذا سبب الشر و سبب الداء و سبب البلاء، إذا لم نُربّي طلابنا إذا لم نُربّي أنفسنا قبل طلابنا على الرجوع للعلماء الكبار، و أن نعرف قدرنا و أن يعرف كل واحد قدره و مقامه الذي يتكلّم فيه و أن نعرف لمن سبقنا فضله و جهاده و قدره و علمه.

يأتي اليوم شاب ما تجاوز الثلاثين ما عرف التديُّن إلا قبل سنتين أو ثلاث سنين ثم يتكلم عن شيخ ربّما كان يدعو إلى التوحيد و السنة و منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم قبل أن يولد هذا الشاب ، و يقول نقول لزميلنا و أخينا و ننصح أخانا و ينبغي على أخينا و نحو ذلك، ما تعلموا الأدب، ما عُلِّموا الأدب.

ينبغي -أيّها الإخوة –أن نُعلِّم نحن أنفسنا قبل غيرنا الأدب الشرعي، الأدب مع العلماء الكبار و أن نُعلِّم طلابنا هذا الأمر، -يا أخي- أنت بحاجة إلى العلماء و لو أُعطيت كرسيا في المسجد النبوي تُدرِّس فيه، أنت بحاجة إلى العلماء لو أصبحت أستاذا في الجامعة، أنت بحاجة للعلماء، لا يزال الواحد منّا بحاجة إلى علماء الحق ، إلى العلماء الربانيين ،إلى علماء السنة ما دام حيًّا، نسأل الله أن يُكرمنا و إيّاكم بالأدب و العلم،

أنواع الهداية :

طيب ذكرنا الأربعة أوجه ما هي أنواع الهداية؟

هداية الله لخلقه كما قرّره العلماء ثلاثة أقسام :

- **القسم الأول:**

هداية المخلوقات العامّة إلى ما ينفعها في معايشها،

فالله عز وجل خلق الخلق و هدى كل مخلوق إلى ما يُصلحه في معيشته ممّا يأكل و يترك ،كيفيّة الأكل ،كيفيّة التناسل و غير ذلك.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ربُّنا الذي أعطى كل شيء خلقه.

قال بعض أهل العلم معنى هذا ربّنا سبحانه و تعالى هو الذي سوّى خلق مخلوقاته، فخلق من المخلوقات ما يمشي على رجلين ، و منها من يمشي على أربع و منها من يطير، و منها من يزحف، والله عزّ وجل يخلق ما يشاء و يختار سبحانه و تعالى فأعطى كلّ شيءٍ خلقه ثم هداه لما يُصلحه في معيشته، فهدى الإنسان إلى ما يليق به في المعيشة، و هدى النحل إلى ما يليق بها في المعيشة ، و هدى الدوّاب كلها إلى ما يصلحها في المعيشة، **فهذه هداية عامّة للمخلوقات في الدنيا**،

و قال بعض أهل العلم أنّ معنى هذه الآية، أنّ الله عزّ وجل أعطى كل ذكر من الخلق نظيره في الخِلقة أنثى، ثم هداهما إلى طريق التناسل ليبقى النوع ، و هذا في الحقيقة لا يُنافي الأول بل هذا خاص و الأول عام ، و هذا يعني كما يقول العلماء هذا إختلاف تنوُّع و ليس إختلاف تضاد، فالثاني نُرجعه الأول لأنّ الأول عام.

- **القسم الثاني :**

الهداية إلى الدين في الدنيا، و هي على نوعين :

1 - **هداية التوفيق و الإذعان :**

أن يهديَ الله قلب الرجل أو الأنثى للحقّ وأن يُذعِنَ له، و هذه الهداية لا يملكها أحد من المخلوقات مهما كان شريف المقام و لذا، لم يهدي إبراهيم عليه السلام أباه آزر، و لم يهد نوح عليه السلام إبنه ، و لم يهد محمدا صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب

و لا عمه أبا لهب، فهذه الهداية لا يملكها إلا الله سبحانه و تعالى، و لذا لا تعجب من أن تجد رجلا يعيش في بلد التوحيد يسمع أدلّة التوحيد ليلا و نهارا و يبقى على شركه و العياذ بالله، بل قد يجلس في الحلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم و يسمع أدلّة التوحيد الدامغة و يبقى قلبه مُعلَّقا بغير الله، يدعو غير الله وينذر لغير الله و يستحقِرُ التوحيد و أهله، بينما قد تجد رجلاً في أمريكا أو في أوروبا يُسلم و لا يبقى أيّاما حتى يهتدي للتوحيد الخالص و يكره الشرك ، لأنّ هداية التوفيق و الإذعان إنّما هي من الله عز وجل ، فالله يهدي من يشاء كما سيأتينا في تفسير الآية.

2 - **النوع الثاني هداية البيان** :

و هذه تكون من المخلوقين بإذن الله تعالى، فالله عزّ و جل هو الذي يهدي في الحقيقة و يأذن لمن يشاء بأن يهديَ هدايةَ البيان ، و هذه الهداية فضلٌ من الله أيضا، لولا الله لما اهتدى من دعا الى لهداية، فهذه الهداية بإذن الله عزّ و جل و هي تقع من الأنبياء و تقع من العلماء فإنّهم يهدون هداية البيان، و لهذا قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، هذه غير الهداية المنفية، هذه الهداية المثبتة هي هداية البيان و الإرشاد.

➢ **أما القسم الثالث** :

من هداية الله لخلقه هداية الذين آمنوا إلى الجنّة و إلى منازلهم فيها، أسأل الله عزّ وجل أن يجعلني و إياكم منهم، الله عز وجل يوم القيامة يهدي المؤمنين الى الجنة و إذا

دخلوا الجنة كلٌّ يُهدى إلى مترله، كأنّه مترله الذي كان يعيش فيه في الدنيا يذهب إليه و لا يُخطئُه.

الله عزّ وجل هو الذي يهدي المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

فالله عز وجل يهديهم إلى : الجنّة، و يهديهم الى منازلهم .

أسأل الله أن يجعلني و إيّاكم و والدينا و أهلنا و من نُحبُّ ممن يهديهم الله عزّ و جل إلى الجنة .

قال الشيخ رحمه الله :

باب قوله تعالى :﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ،

في هذه الآية العظيمة يقول الله عزّ وجل لخير خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم :

إنّك يا محمد لا تهدي من أحببت هداية التوفيق و الإذعان،

من أحببت للعلماء قولان فيها :

-قال بعض أهل العلم: من أحببت هدايته،

-وقال بعض أهل العلم: من أحببته.

-طيب- كيف يحبُّه و هو كافر؟

نقول من أحببته حُبًّا طبْعيًّا لا شرعيا، الحبُّ الفطري، الموجود في طبيعة الإنسان، الإنسان من طبيعته أنّه يُحب إبنه و لو آذاه و لو عقَّه يحبه، و ضابط الحب الطبيعي أن

الانسان لا يكتسبه، و لا يطلبه، و لا يفعل مُقدِّماته، لكن يوجد في القلب، و هذا لا يُؤاخذ به الإنسان ، و لو أحبَّ الإنسان والده المشرك حُبَّ الإبن لأبيه المشرك مع بغضه له من أجل شركه لا يؤاخذ بهذا، فالحب الطَبْعي لا يؤاخذ الإنسان به.

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ : أي أحببته حبا طَبَعيًّا لا شرعيا، و المقصود هنا على كل حال هو أبو طالب كما سيأتينا إن شاء الله، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على هدايته .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: فبيّن الله عزّ وجل أنّ الهداية له سبحانه وتعالى، الهداية من الله، وهو يهدي من يشاء، فالهداية هداية التوفيق تفضُّلٌ من الله، هداك الله للإسلام لا تغترَّ بنفسك ، هذا فضل من الله و نعمة، هداك الله إلى التوحيد لا تغتر بنفسك، هداك الله إلى حُبِّ السلف الحُبَّ الصادق و إلى لزوم منهج السلف لا تغترَّ بنفسك هذا فضلٌ من الله و نعمة ، ما نلته لشرفك، و لا نلته لإجتهادك، و إنّما هو فضل الله سبحانه و تعالى.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ : فمع كون الهداية فضلاً من الله، فإنّها تكون بعلم الله وحكمته، فالله يهدي من علم أنّه مستحقٌّ للهداية و أهل للهداية، و يهدي من شاء بحكمة ، فمن إهتدى فبفضل الله إهتدى، هداه الله بعلمه و حكمته، و من ضلَّ فإنّما يضلُّ على نفسه، فإنّما أضله الله بعدله، و علمه، و حكمته، فالشرُّ ليس إلى الله سبحانه و تعالى،

و هذا وقع للمؤمنين فالله عزّ وجل هو الذي حبَّب الإيمان إلى المؤمنين، و زيَّنه في قلوبهم، و لذلك -يا إخوة- خلق كثير سمعوا النبي صلى الله عليه و سلم يدعوا إلى الله آمن بعضهم، و كفر بعضهم ، و هم عرب يفقهون كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهما دقيقا، كأبي طالب، و أبي لهب، و آمن من شاء الله أن يُؤمن لأن الله حبَّب إليهم الإيمان، و زيَّنه في قلوبهم، و كرَّه إليهم الكفر و الفسوق والعصيان ﴿اولئك هم الراشدون﴾ كما قال الله عزّ وجل ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾.

فهذه الهداية حبُّكم للإيمان، حبُّكم للتوحيد، حبُّكم للسنة، حبُّكم لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، إنّما هو فضلٌ من الله و نعمة عليكم.

و لذلك -يا إخوة- الذي يُهدَى لهذا حقًّا لا يغترُّ بنفسه، و لا يتكبَّر على خلق الله، بل تجده دائما خائفا وجلا لأنّه يعلم أنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبُها كيف يشاء ، فهو خائفًا، كيف لا يخاف و هو يرى الناس يُتخطَّفُون، كم من شخص كان معنا، كم من شخص كان داعية مشهور للتوحيد أصبح من غلاة الصوفيّة و من دعاة التصوُّف الغالي ولو شئت أن أذكر إسمه لذكرته، فالإنسان يخاف، و يسأل الله الثبات ، و لا يتكبّر على خلق الله أبدا ، و لا يتألَّى على الله ويرفع هذا و يخفض هذا ، ولكن يذكر الظاهر غير مُتألِّيًا ،غير مُتألٍّ على الله عزّ وجل.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ، اذًا الذي وقع للمؤمنين أن الله حبَّب الإيمان إليهم و زيَّنه في قلوبهم و كرّه إليهم الكفر و الفسوق العصيان، وهذا فضلٌ منه و نعمة و رحمة، و هذا بعلمه و حكمته.

إذن إفهموا هذا- يا إخوة -هذه أصول الهداية عند أهل السنة و الجماعة جُمعت في هذه الآية، و هذه الآية كترٌ في التوحيد لماذا؟

لأنّ الله عزّ وجل يقول لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إذن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لأحدٍ ضرًّا و لا نفعًا إلا بإذن الله لأنّ أعظم نفع في الدنيا- يا إخوة- هو الهداية، أعظم نفع من مخلوق لمخلوق هو الهداية، و لا يملكه المخلوق، و إنّما الهداية من الله عزّ وجل ،

إذن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك أعظم نفع و هو هداية التوفيق، فمن باب أولى لا يملك من دون ذلك، و إذا كان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم سيِّد ولد آدم أجمعين أفضل خلق الله قرَّة عيون المؤمنين لا يعتقد مؤمن أنّ هناك عابدا لله أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا كان هذا له فما بالك بغيرك من الناس، لا يملكون نفعا و لا ضرًّا إلا بإذن الله، و لذلك لا يُطلب النفع إلاّ من الله ، و لا يُطلب دفع الضر إلا من الله سبحانه و تعالى،

ثم قال الله: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إذن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم بالمهتدين، فالنبي صلى الله عليه وسلم إذن لا يعلم الغيب لأنّه لا يعلم بالمهتدين، لا يعلم من الذي سيهتدي و من الذي لن يهتدي، و لذلك- يا إخوة- إلى أن مات عمه أبو طالب و هو يدعوه ما درأ أنّه سيموت على الكفر و الشرك، ثم قال له: **"لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك"** يعني حتّى الأمور الشرعية ما يعلمها النبي صلى الله عليه و سلم حتى يُعلِمَه الله، و لذلك قال : **"لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك"** ما نُهي

عن الإستغفار للمشركين إذاك، و ما درى أنه سينهى لكن قال: **"لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك"**حتى نُهيَ عن ذلك.

إذن النبي صلى الله عليه وسلم و هو النبي صلى الله عليه وسلم عال المقام، شريف المقام صلى الله عليه وسلم، ما كان يعلم شيئا من الغيب إلاّ أن يُطلعه الله سبحانه و تعالى.

فيدلُّنا ذلك دلالة بيّنة أنه لا يُوجد مخلوق و لن يُوجد يستحقُّ أن يُصرف له شيء من العبادة، و إنّما العبادة صغيرها و كبيرها لله سبحانه و تعالى.

المتن:

٣٨- فِي «الصحيح»: عَن ابنِ المُسَيَّبِ، عَن أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَت أَبَا طَالِبِ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَعِندَهُ عَبدُالله بنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأَبُو جَهلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ! قُل: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ الله». فَقَالَا لَهُ: أَتَرغَبُ عَن مِلَّةِ عَبدِالمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبدِالمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَن يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ». فَأَنزَلَ الله تَعَالَى[1]: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوا أُولِي قُربَى مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أَصحَابُ الجَحِيمِ﴾[2]. وَأَنزَلَ الله فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ الله يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾[3].

الشرح:

نعم ، **في الصحيح** أي عند البخاري و مسلم أي الحديث في الصحيحين.

عن إبن المُسيِّب أو المُسيَّب :

بفتح الياء و تشديدها، و الفتح أشهر عند المحدثين ، و يُذكر عن إبن المُسيِّب أنّه قال: "من سيَّبَني أي قال المُسيَّب سيَّبَه الله" أي أنّه كان يكره هذا، و إنّما يُقال المُسيِّب أي أنّه هو الفاعل، لكن المشهور عند المحدثين أنّها تُضبط بالفتح المُسيَّب بالفتح، عن أبيه وقد كان صحابيا، قال : **"لما حضرت أبا طالب الوفاة "** أبو طالب هو الذي ربّى النبي صلى الله عليه وسلم بعد جده ربّاه و اعتنى به، و كان يُحبُّه أكثر من ولده، فلمّا بُعث النبي صلى الله عليه وسلم و كذّبه قومه، ناصره أبو طالب مُناصرة شديدة ، و وقف في صفِّه ، و قال و الله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوَسَّدَ في التراب قتيلا، قال والله لو اجتمعوا على أن يُقاتلوك لن يصلوا إليك بجمعٍ بل سأُقاتل دونك حتى أُوَسَّدَ في التراب قتيلا، لن يصلوا إليك ما دمت حيًّا، و أُوذيَ بسبب نصرته للرسول صلى الله عليه وسلم، ودخل الشِّعبَ معه لمّا قاطعته قريش.

أبو طالب له أياد بيضاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يدعوه إلى التوحيد.

قال" :**لما حضرت أبا طالب الوفاة**" أي ظهرت علاماتها من ضعفه ونحو ذلك، لا أنّه قد عاين و غرغر، لأن من عاين و غرغر لا ينفعه إيمانه.

فرعون لما رأى الغرق و خلاص كاد أن يغرق قال" آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل" فقيل له "ألآن "، إذا حصلت الغرغرة و المعاينة انقطع التكليف فلا

توبة إذاك، و لذلك قال العلماء معنى: **"لما حضرت أبا طالب الوفاة "** يعني ظهرت العلامات و كان مريضا، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أخذ العلماء من هذا أنّه يجوز للمسلم أن يعود الكافر غير الحربي، و لا سيَما اذا رَجا أن يُسلم أن يدعوَه إلى الإسلام أو أن يَرى أخلاق المسلمين فيُسلم، لو لك جار نصراني أو يهودي غير حربي ما يُقاتل المسلمين جارك من المعاهدين أو أنت كنت عندهم في بلادهم، و مرض يجوز أن تزوره بنيَّة أن تُظهر له أخلاق الإسلام، بنيَّة أن تدعوه إلى الإسلام لعلّه أن يُسلم ، لا سيَما والإنسان عند المرض يضعف و يلين،

جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم و عنده عبد الله بن أبي أميّة و قد كان إذاك كافرا فإنّه من مُسلمَة الفتح ، أسلم عام الفتح فكان عند إذاك في السنة الثامنة من البعثة تقريبا، كان كافرا، و أبو جهل قد مات مشركا،

ولذلك قال العلماء شهد هذه القصة ثلاثة : اثنان أسلما و واحد مات.

-طيِّب- عرفنا أنّ الذي مات على الشرك هو أبوجهل و أن أحد المسلمين هو عبد الله بن أبي أميّة ،فمن الثالث ؟

قالوا هو المُسيِّب لأنّه الظاهر من حكايته للقصة أنّه حضر القصة، **"فقال له"** أي قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمِّه، **"يا عمِّ"** ، و يصح أن يقول : **"يا عمَّاه"**.

"يا عمِّ قل لا إله إلا الله"، -طيِّب- هنا النبي صلى الله عليه وسلم قال له قل لا إله إلا الله عندما حضرته الوفاة ، بينما نجد علماؤنا و فقهاؤنا يقولون من أدب التلقين ألاّ تقول للميت عند الإحتضار قل ، لأنّه شديد التضجُّر، فإذا قلت له قل قد يتضجَّر

و يسكت يقول لك أُسكُت لن أقول ، فيُقال من أدب التلقين عند الإحتضار أن تُذكِّره لا إله إلا الله بلين من غير أن تُضجِرَه، و من ذلك ألاّ تقول له قل، فتقول لا إله إلا الله أنت بنفسك أو نحو ذلك،

-طيِّب- هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم" **قل لا إله إلا الله**" ، قالوا لأنّه كان مشركا، و التلقين المقصود به تلقين المُوحِّد المسلم أصلا، وهذا خطاب للمشرك هذه دعوة و ليست تلقينا، هذه دعوة إلى التوحيد .

"**قل لا إله إلا الله كلمةً** أو **كلمةٌ** " كلمةً على أنّها بدل من لا إله إلا الله،

"**قل كلمة**": فكلمة بدل من لا إله إلا الله فهي منصوبة،

و "**كلمةٌ**" : على أنّها مبتدأ.

"**قل لا إله إلا الله كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عند الله**" : كلمة مبتدأ و ما بعدها خبر.

"**أُحاجُّ لك بها عند الله فقالا له أترغب عن ملّة عبد المطلب** ؟ " لمّا خاف أن يُسلم و يُؤثِّر هذا في الناس، ذكَّراه بأمرٍ ألا و هو الإعتزاز بما كان عليه الأسلاف، أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟

و هذا- يا إخوة- دائما عند أهل الضلال للوقوف في وجه الحقِّ، اذا جاء داعية توحيد إلى البلد و قال للناس التوحيد بالكتاب و السنة و الحجة والبرهان قام دعاة الباطل و الضلال، و قال أترغبون ما كان عليه أبائكم وأجدادكم في النار، أنتم إذا قلتم هذا توحيد و ذلك شرك، تقولون إن أبائكم و أجدادكم يكونون في النار كيف هذا ؟أترغبون عمّا كان عليه الآباء، عادة هذا النذر للقبور عادة، النذر السنوي

عادة سنوية ورثناها عن آباءنا و أجدادنا هي الحجّة **"أترغب عن ملة عبد المطلب"**

و هذا دليل -يا إخوة- على أنّ عبد المطلب كان في الشرك، و مات على الشرك، بخلاف من زعمهم أنّه أسلم ، و يزعمون يقولون ما من أحد من نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ وأسلم و هذا باطل و لهذا قال له : **"أترغب عن ملة عبد المطلب"** لو كان عبد المطلب أسلم لكان قال له النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب مات على الاسلام فكن مثله ، فدلّ ذلك على أنّ عبد المطلب كان على الشرك، و مات على الشرك، فأعاد عليه صلى الله عليه وسلم أي: **"قل لا إله إلا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله"**، **"فأعادا"**: أي قال له أترغب عن ملة عبد المطلب.

فكان آخر ما قال : هو على ملّة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، غيّر الراوي كلمة أنا بضمير الغائب، لأنّ أبا طالب لم يقل **"هو على ملة عبد المطلب"** بل قال عياذا بالله : أنا على ملة عبد المطلب،

فالراوي غيّر ، فكان آخر ما قال : هو استقباحًا لأن يقول : أنا، في هذه المقولة القبيحة، و لو كان ذلك على سبيل النقل عن غيره،

و لذلك يذكر الفقهاء أنّ من أدب العلم أنّك إذا نقلت مقولة قبيحة أو مقولة مكروهة ألاّ تنسبها إلى نفسك ولو كنت حاكيا عن غيرك، فتقول قال: **هو**، و لذلك مثلا إذا كنت تشرح في الطلاق، فالمثال مثلا يقتضي أن تقول يعني قال زوجتي طالق، قالوا إمّا أن تقول قال هو و بئسما قال، كذا ،

أو تقول قال هو زوجته طالق و لا تأت بضمير المتكلم، هذا ليس واجبا لكن يقولون هذا من أدب العلم ، و ممّا سمعت من بعض مشايخي أنّه يُخشَى على لسان العالم و الشيخ و الطالب أن يتعوّد على هذه الكلمة فتسبق على لسانه عند الغضب مع زوجته.

فمات على الشرك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك" و في رواية قال: "أما والله لأستغفرنَّ لك" ، ليُؤكِّد هذا ، و هذا يدلُّ على ما قدّمناه –يا اخوة– أنّ حبيبنا ونبيَّنا صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم الغيب إلاّ ما علّمه الله حتى في أمور الشرع، و لذلك قال : "لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك" فأنزل الله عزّ وجل :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ،

وهذه الآية –يا إخوة– على الصحيح تعدّدت أسباب نزولها:

1) فمنها هذا المذكور هنا، فإذا كان هذا سببا لنزولها، فهذه الآية– يا إخوة – من سورة التوبة و سورة التوبة مدنية ، و القصة مكيّة، إذن تأخّرت الآية عن سبب نزولها، هذه الآية نزلت في المدينة، و سبب نزولها كان في مكة قبل الهجرة فتأخَّرت الآية عن سبب نزولها و هذا لا غرابة فيه.

2) أيضًا من أسباب نزولها ما جاء عن علي رضي الله عنه، قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه و هما مشركان،

فقلت له: أتستغفر لأبويك و هما مشركان،

فقال : أوليس استغفر إبراهيم لأبيه و هو مشرك؟

قال علي رضي الله عنه : فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فنزلت، فأنزل الله عز وجل :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، و هذا رواه الترمذي وحسّنه الترمذي و الألباني.

3) و بعض أهل العلم يذكر سببا ثالثا و هو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربّه أن يزور قبر أمه فأذن له و أستأذن ربه أن يستغفر لها، فلم يأذن له فأنزل الله هذه الآية :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، لكنّ الرواية التي فيها الآية ضعيفة، نعم القصة صحيحة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يزور قبر أمه فأذن له فزارها زار القبر، و استأذن ربّه أن يستغفر لها فلم يُؤذن له صلى الله عليه وسلم ،

فهذه الآية تعدّدت أسباب نزولها، و دلالتها ظاهرة في أنّ الإستغفار لا ينفع المشركين، و لا ينبغي أن يكون للمشركين، فإنّ المشركين في الدنيا ليسوا أهلا للمغفرة، فمن مات على الشرك ليس أهلا أن يغفر الله عزّ وجل له، كما أنّه ليس أهلا للشفاعة يوم القيامة.

و أنزل الله في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ،

فدلّ ذلك دلالة ظاهرة على ما قرّرناه من عظم التوحيد و فضله ، و قطع العلائق بالخلائق ، و أنّ الواجب على المؤمن أن يُعلِّق قلبه بالله عزّ وجل، و أن يسأل الهداية من الله سبحانه و تعالى.

المتن:

۞ فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهدِي مَن أَحبَبتَ۞﴾.

الشرح:

و قد سمعتم معناها و دلالاتها العظيمة على التوحيد.

المتن:

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوا أُولِي قُربَى مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أَصحَابُ الجَحِيمِ۞﴾.

الشرح:

نعم كما تقدّم.

المتن:

الثالثة: وهي المسألة الكُبرَى[٤] : تفسير قوله: {لا إله إلا الله[٥]} بخلاف ما عليه مَن يَدَّعِيَ العِلمَ.

الشرح:

نعم قول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿قل لا إله إلا الله﴾ ، أي أنّه لا معبود بحقٍّ إلاّ الله،بخلاف ما يفسِّرُها به بعض من يدَّعون العلم بأنّ معناها لا خالق و لا رازق و لا مُوجِد إلا الله أو نحو ذلك، فإنّ المشركين عَلِمُوا معناها و لذلك أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعُوَ إليها وفهموا من قوله :﴿ قولوا لا إله إلا الله تُفلِحُوا ﴾ أنّه يجعل الآلهة إلها واحدا، فيجعل المعبود واحدا ، و هذا الذي فهمه أبو جهل هنا أنّه يدعوه للتوحيد و لذلك قال: " أترغب عن ملة عبد المطلب " ، مع أنّه معلوم – يا إخوة– أنّ عبد المطلب كالمشركين جميعا يُقرُّ أنّ الخالق هو الله و أنّ الرزاق هو الله و أنّ الناصر هو الله ، و لذلك لما جاء جيش أبرهة ليهدم الكعبة تعلّقُوا بالكعبة و دعوا الله عزّ وجل لأنّهم يعلمون أنّ الناصر هو الله سبحانه و تعالى، و إنّما لم يأتوا بلا إله إلا الله و هي الإقرار و اليقين و العمل بأنّه لا معبود بحقٍّ إلاّ الله سبحانه و تعالى.

المتن:

الرابعة: أَنَّ أَبَا جهل ومَن معه يعرفون مراد النَّبِيِّ ﷺ، إذ قال للرجل: «قُل: لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، فَقَبَّحَ الله مَن أَبُو جَهلٍ أَعلَمُ مِنهُ بِأَصلِ الإِسلاَمِ.

الشرح:

نعم، للأسف أنّ بعض ممّن ينتسبون للإسلام لا يعرفون معنى لا إله إلا الله كما عرفها المشركون ، و لذلك يقولون لا إله إلا الله و يُشركون بالله، يقول لا إله إلا الله و ينذُر للقبور أصحاب القبور لأنّهم ما عرفوا معناها بينما المشركون الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم بها، كانوا يعرفون معناها

المتن:

الخامسة: جِدُّهُ ﷺ ومبالغته في إسلام عَمِّهِ.

الشرح:

نعم كما هو ظاهر.

المتن:

السادسة: الرَّدُّ عَلَى مَن زَعَمَ إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

الشرح:

نعم كما قلنا لكم.

المتن:

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفَر له، بل نُهِيَ عن ذلك.

الشرح:

نعم، و هذا يدلنا -يا إخوة- على ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء إلاّ ما أذن الله به، فها هو قبل أن يُنهَى فقد استغفر لعمه أي دعا له بالمغفرة، فلم يغفر الله لعمه، و لكن كما تقدّم معنا سيشفع لعمه يوم القيامة بإذن الله ليُخفَّف عنه العذاب لا ليُخرَج من النار، فهذا يدلنا على أنّ الأمر كله لله،

الله سبحانه و تعالى نهى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يستغفره لعمه و لأقربائه في الدنيا و لم يستجب دعاءه بالإستغفار لعمه أبي طالب، فدلّ ذلك على أن الأمر كلّه لله عز وجل نعم.

المتن:

الثامنة: مضرة أصحاب السُّوءِ عَلَى الإنسان.

الشرح:

و هذا ظاهر فأبو جهل حال بين أبي طالب و الإسلام بتذكيره بنعرة الجاهلية.

المتن:

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

الشرح:

نعم، كما تقدّم معنا و هذه حجة الشيطان على الناس يُوحيها الى أوليائه، اذا جئت تدعو الناس إلى شيء، قالوا نحن عشنا ستين سنة سبعين سنة و نحن على هذا وتريد تعلمنا و أنت إبن أمس.

و يأتي دعاة الضلال ويقولون ديننا دين بلدنا، لا تأخذوا بالدين المستورد من السعودية، سبحان الله عنصرية حتى في الدين، جعلوا حتى لدين الله حدودا و جنسية، ما بقي إلا أن يكتبوا في الجواز:

مسلم إسلام مصري،

مسلم إسلام جزائري،

مسلم إسلام سعودي.

أعوذ بالله، لكن هذه دعاوى الشياطين، يقولون هذا النقاب الذي تتنقَّب به النساء و تحتشم به و تُصبح في غاية العفَّة ما شاء الله تبارك الله، قالوا هذا ليس من عاداتنا و لا عادات أبائنا و لا أمهاتنا هذا أتى به المغتربون من السعودية سبحان الله!!!

و للأسف يقول هذا بعض من يُنسَبُون للعلم من رجال و نساء، و مع أنّهم يعلمون أنّهم كاذبون و أنّ الصور الحديثة ليست القديمة، الصور الفوتوغرافية الموجودة تُثبت أنّ النساء في هذا البلد كنّا يتنقَّبن قبل الاستخراب، و تأتي المرأة مُتجرِّدة مُتعرِّية ترقص يقولون الفن النبيل، هذا شيء روحي، و المرأة تتنقَّب يقولون هذا مستورد هذا ما نعرفه عند أبائنا و أمهاتنا ما كنا يفعلن هذا،

واحد منهم و العياذ بالله يقول أمّي كانت تنشر الغسيل في البَلَكُونَة باللباس، لباس البيت الرقيق، ما عرفنا هذه العباءة و هذا النقاب إلاّ لما جاءنا المغتربون من السعودية، أعوذ بالله كيف يتسلَّط الشياطين على الإنس ليمنعوهم من الحق، ما في حجة تقابل الحجة و إنّما هي دعاوى شيطانية ، و كما قلت لكم- يا إخوة- أكبر حجة يُواجَه بها دعاة التوحيد في أكثر بلدان المسلمين، لم يكن آباءنا على ما تقولون.

المتن:

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل في ذلك[1].

الشرح:

نعم.

المتن:

الحادية عشرة: الشاهد بكون[2] الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها نفعته[3].

الشرح:

نعم، و لذلك الإنسان لا ييأس من أحد و لا يأمن على نفسه الفتنة،

لا ييأس من أحد بل يدعوه ما دام على الحياة و العبرة بالخواتيم قد يعيش الإنسان على الكفر و الشرك ثم يشاء الله فيختم له بالتوحيد و الإسلام، و لا يأمن على نفسه الفتنة.

المتن:

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة: أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

الشرح:

نعم وهي في الحقيقة هي ما يمنع كثيرا ممن يعرفون الحق من الحق إلاّ أحد أمرين:

1) **الأمر الأول** : ما كان عليه الآباء و الأسلاف.
2) **الأمر الثاني** : خَوف التَعيير.

و لذلك جاء في رواية عند مسلم أنّ أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم : **"لولا أن تُعيِّرَني قريش يقولون إنّما حمله ذلك الجزع لأقررت عينك بها"** لولا أن تُعيِّرني قريش بإسلامي و يقولون إنّما أسلم عندما رأى الموت لأقررت بها عينك، فأكثر ما يمنع الناس من الحق إذا تبيّن لهم الحق، إذا سلموا من الكِبر، الاغترار بما كان عليه الآباء و التمسك به و خوف تركه، و الخوف من التعيير.

لذلك بعض الناس ما يترك الشرك الذي يُفعل ببلده حتى لا يُقال له وهابي، يرضى بأن يبقى مشركا بالله و يموت على هذا و العياذ بالله و لا يرضى أن يُقال له وهابي، و ما ضرّه و لو قالوا عنه ما قالوا ما دام أنّه على التوحيد و السنة، لا يضرُّك سبُّ الناس ما دمت بحق الله، لا يضرُّك سبُّ الناس مادمت قائما بحق الله سبحانه و تعالى.

أيُّها –الإخوة– هذا الباب العظيم **باب أنّ الهداية هداية التوفيق و الإذعان إنّما هي من الله عز وجل**، و أنّ طلبها من الله توحيد، و أنّ اعتقاد أنّ مخلوقا من المخلوقات يملكها، أو طلب ذلك من مخلوق **من الشرك الأكبر**، هذا الأمر أعني اعتقاد أنّ أحد المخلوقات يملك هداية التوفيق و أنّها تُطلب منه هذا الشرك العظيم وقع فيه بعض الغلاة ممن ينتسبون إلى الإسلام،

فهناك غلاة في شيوخهم و من يُسمُّونهم بالأولياء أو يُسمُّونهم بالأقطاب فيعتقدون فيهم أنّهم :

يعلمون الغيوب،

و أنّهم يهدون القلوب،

و أنّهم يغفرون الذنوب،

و أنّهم يفرجون الكروب،

فما تركوا شيئا لله إلاّ و جعلوه لغير الله و العياذ بالله.

هناك غلاة يعيشون بين أظهر المسلمين، بل يزعمون اليوم أنّهم من أهل السنة ، أو أنّهم أهل السنة، و يخرجون أهل التوحيد من أهل السنة ، و يعتقدون في شيوخهم و من يُسمُّونهم بالأولياء أنهم :

يعلمون الغيب ،

يعلمون الغيوب و يهدون القلوب،

و يُفرِّجون الكروب.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

و لذلك يلجئُون إليهم.

و يغفرون الذنوب ،

يعتقدون أنّ شيوخهم يهدون القلوب .

و لذلك الواحد منهم يعتقد أنّ نظرة الشيخ إليه قد تكون سببا في إيمانه إيمانا راسخا، كما يعتقدون أن نظرة الشيخ قد تُردِيه و تُخرجه من الإيمان و العياذ بالله ،

لذلك عندهم ما يسمونه بالخِرقَة إلى اليوم و يفتخرون به و بلباس الخِرقَة و لباس الخرقة إمّا أنّه قميص مُقطّع مُرقّع و إمّا أنّه عمامة بيضاء يشدُّها الشيخ على رأس المريد، يزعمون أنّ المريد إذا أخذ الخرقة، إذا لبس الخرقة من الشيخ ثبت إيمانه و لم تضرُّه فتنة بعد ذلك،

يجعلون هداية التوفيق و الإذعان ودلالة القلوب و هداية القلوب لشيوخهم و العياذ بالله.

و لذلك يا عبد الله لا تقل إنّ هذا الشرك الذي تتكلمون عنه هذا في الكتب القديمة و انتهى، ما من شرك تكلّم عنه العلماء إلاّ و هو موجود بين الناس اليوم، بل أرى و ترون أنّ دُعاته اليوم قد عادوا إلى النشاط مرة أخرى لّما قام دعاة التوحيد و السنة بالدعوة إلى التوحيد بكل قوة و وضوح و بيان بالأدلة الدامغة انتشر التوحيد و زالت الغِشَاوة عن كثير ممّن ينتسبون إلى الإسلام و ضَعُف دعاة الباطل و دعاة الغلو ضعفوا و أصبح تأثيرهم في جميع البلدان ضعيفا، فلمّا انشغل أهل الحق و التوحيد بمسائل ينبغي أن يكون لها وزنها الشرعي و ضعف عندهم الدعاة إلى التوحيد نَشِط أهل الباطل.

و لذلك أدعو كل من رزقه الله العلم بالتوحيد و أكرمه بهذا المنهج الرشيد منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أن يُشمِّر عن ساعد الجد في الدعوة للتوحيد، أهمُّ شيء عندنا ندعو إليه التوحيد، و ندعو إلى السنة، و ما عدا ذلك فهو وسائل شريفة لحفظ دعوتنا إلى التوحيد و السنة.

فينبغي- يا إخوة- أن نقيم دعوة التوحيد في بلداننا و أن نصبر على ذلك، نقيم دعوة التوحيد على ما قرّره العلماء الأسلاف : باللين ، بالرفق، بالبيان، بالوضوح، بالبرهان، بالأسلوب البسيط الذي يصل إلى الناس في بلداننا و ألاّ نتوانى عن هذا و ألا نتكاسل.

يجب أن نقف أمام دعاة الباطل، أعظم شيء- يا أخي- من حقوق جارك عليك من حقوق أهل بلدك عليك أن :

- تدعوهم إلى التوحيد .
- و أن تُنقذهم من الشرك إن كانوا عليه .

كيف نكسل ،كيف يأتي أناس إلى أناس يدعون إلى التوحيد الخالص ويقولون لهم أُلفُوا ما عندكم تزكية، سبحان الله كيف نقطع الطريق؟ داعية التوحيد، يدعوا إلى التوحيد ما عُرِف إلاّ بالسنة، ما عُرِف عنده غلو ، ما عُرِف عنده تجاوز على العلماء يُقدِّر العلماء ، يعرف فضلهم، يأتيه أناس يخرجونه من المسجد يقولون لا تدعوا إلى التوحيد، يأتي دعاة للبدع إلى البدع في المساجد ما يُحرِّكون ساكنا لهم ، لكن يقوم داعية التوحيد هذا الذي يُعلِّم التوحيد من عشرين سنة من ثلاثين سنة ، يقولون له

قف ما عندك تزكية، التزكية مطلوبة لكنّ الغلو فيها ممنوع، و قد ذكرت مرارا و تكرارا أنّ منهج العلماء الذي لا يُختلف فيه أنّ من الناس من يُزكّيه علمه، فمن عرفناه بالتوحيد الخالص ليس التوحيد المجمل التوحيد التفصيلي، دعوة التوحيد التي يعرفها العلماء و عرفناه بالسنة و لم يُؤخَذ عليه غلو و لا تَجاوُز على العلماء و لا همز و لا غمز للعلماء، والله إنه مُزكّى و لا يحتاج إلى شهادة من أحد، فإن جمع وُجِد عنده تزكية من العلماء فهذا نور على نور، لكنّه ليس شرطا، -يا إخوة- والله يُدمي القلب و يُحزن النفس أن يقوم بعض إخواننا الذين هم على منهج طيِّب في الأصل بالوقوف أمام دعوة التوحيد.

والله دعوة التوحيد هذه أعظم واجب علينا و حقّ أهلنا في كل بلد علينا أن ندعو إلى التوحيد بما قلنا : بالبيان و الرفق و اللين و الأسلوب الحسن و أن نواجه كلام أهل الباطل بحجج الحق مع تمسُّكنا بالسنة و تقديرنا للعلماء، من رأيناه على هذا نفرح به و ندعوا له ،والله و الله إني اسمع عن الرجل يدعوا إلى التوحيد في بعض البلدان فأُكبِرُه فوق نفسي ، لأنّي أنا أدعو الى التوحيد في بلد التوحيد ، معي أهل التوحيد لكن يدعو في بلده إلى التوحيد مع قلّة المناصر و كثرة المُخالف و هو على سنّة، ما عُرِف فيه من يجرحه، ما عرف فيه ما يجرحه.

-يا إخوة -لنكن رشيدين أنا يُحزنني أنّ بعض إخواني ممّن درسوا هنا وفي الجامعة الإسلامية و تخرجوا في الكلية و يدرسون في الدراسات العليا يقولون ما نستطيع أن نقيم دروسا في بلداننا حتى لا يُقال لنا من زكّاكم، مع أنّهم لا يظهر فيهم جرح، -يا إخوة- من ظهر خيره و لم يظهر فيه ما يجرحه قبلناه ، و شجّعناه على الدرس،

شجعناه على أن يعلم التوحيد ، شجعناه على أن يعلم السنة، شجعناه على أن يربط الناس بالعلماء الربانيين الكبار.

أمّا أن نُخطيء الطريق ، والله يأتيني بعض الإخوة يستنصحني عند بداية الإجازة يقولون يا شيخ أنا في دروس أهل العلم و درست الجامعة لكن و الله أخشى أن أقيم درسا في بلدي، تخاف من أهل البدع؟ قال لا والله لا يزنون شيئا، أخاف من إخواننا، ما هذا الطريق؟

ما عرفناه عن العلماء، و الله ما رأينا الشيخ إبن باز رحمه الله يأتيه طالب علم إلاّ و حثه على الدعوة و شجعه، و الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، مشايخنا هنا.

فالله الله- يا إخوة- في دعوة التوحيد و الله لن تَشرفُوا إلاّ بها و لن تقوى الأمة إلاّ بها و لن تبرأ ذممكم إلاّ بها، كل واحد يدعوا إلى التوحيد بما يستطيع بحسب علمه يبين للناس، و من كان من أهل الخير و حصل علما، درس في الجامعة الإسلامية و هو على منهج رشيد، درس عند أهل العلم إذا رجع إلى بلاده و لو أسبوعا ليُعلّم الناس و لا يلتفت لأحد هذا ديننا، هذه عقيدتنا، هذا منهجنا، هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ان لم نُشجِّع على القيام بها و نشرها و دعوتها فلا خير فينا.

فأسأل الله عزّ و جل أن يهديني و إخواني أجمعين إلى القيام بهذا الواجب و أن يُكرمنا به و أن يجعل ذلك سببا في علو منازلنا في جنة ربِّ العالمين.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد